المبين

من أسماء الله الحُسنى المبين ، وهو اسم كما هو معلوم زائد على التسعة والتسعين التي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جل جلاله في سورة الرحمن : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن : ١-٤] .

البيان هو الإفْصاح والتعبير والكشف والإبانة والتوضيح ، ولأنَّ البيان يطرد الشيطان ؛ وضِّحْ ، بيِّنْ ، فصِّلْ ، ونَوِّهْ ، واشْرح : ائتِ بالدليل .

لذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان مع زوْجتِهِ صَفِيَّة مرّ به صحابِيان أنصاريان في الطريق فقال : « **على رِسْلِكما إنها صَفِيَّة** » ، قالوا : سبحان الله! يا رسول الله ؟ قال : « **إنَّ الشيطان يَجْري من الإنسان مجْرى الدم** » .

« **البيان يطْرد الشيطان** » . وأنا أعرِف أُناساً كثيرين تجد أحدهم أكثر مُشكلَتِهِ في صمْتِهِ ؛ يسْكت ولا يُوَضِّح ، قد يكون بريئاً وطاهِراً وسليم الصدر حسَنَ النِّيَّة ، لكنّ صمْتَهُ الدائم هو الذي يُثير حوْله الشبهات ؛ إذاً وضِّحْ ، بيِّنْ ، « **إنها صَفِيَّة** » . سبحان الله! يا رسول الله ؟ قال : « **إنَّ الشيطان يجْري من الإنسان مجْرى الدم وإني**

خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً » .

البيان هو الإظْهار ، إظْهار المقْصود بِأَبْلَغ لفظ ، وهو الفهْم وذكاء القلب ، بل إنّ صِفَة البيان من امْتِنان الله عز وجل على الإنسان ، ومن أَخَصّ خصائص الإنسان البيان والقُدْرة على التعبير ، والتعبير عن الأفكار وعن التصَوُّرات والمشاعر وعن العواطِف ، والتعبير عن الحاجات وعن الطموحات ، وكلُّ ما يَعْتلج في نفْس الإنسان من أفْكار وتصَوُّرات وأهْداف ، ومن مشاعر وعواطِف وخواطِر يمكِن أنْ يُعَبِّر عنها ، فالبيان من أخصّ خصائص الإنسان ، فَيُمْكِن أنْ يُعَبِّر عنها بِلسانِه ، ويُمْكن أنْ يُعَبِّر عنها بِقَلَمِهِ ، ويُمْكن أنْ يُصْغي إليها بِأُذُنِهِ ، ويُمكن أنْ يفْهَمَها بِعقلهِ ، فإذا كان الكلام إلْقاءً وتَلَقِّياً بقِيَ محْصوراً في المُتعاصِرين ، أما إذا كُتِب وقُرِىء انْتَقَل من جيلٍ إلى جيلٍ ، ومن أمَّةٍ إلى أمَّة ، ومن قارَّةٍ إلى قارّة ، لِذلك قال تعالى :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ .

ثمانِيَةٌ وعِشْرون حرْفاً يُمْكن أنْ يُصْنع منها بلايين الكَلِمات ، وملايين وملايين الأفكار والمشاعر والمقولات .

من أسْماء الله الحُسنى المبين . واللغة تذكر أنَّ البيِّنة هي الدلالة الواضِحة ، قال تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[البينة : ١] .

هذه الآية إشارةٌ إلى مجيء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ البيِّنة : الدلالة الواضِحة عَقْلِيَّةً كانت أم محْسوسة ، وفِطْرِيَّةً كانت أم واقِعيَّة ، وكل مثقَّف يعْلم أنّ هناك دليلاً فطْرياً ودليلاً عَقْلياً ودليلاً نقْلياً ودليلاً واقِعياً ، وكنت أُكثر الحديث حول هذه الفِكرة .

الحق دائرة يتقاطع بها خط النقل مع خط العَقْل مع خط الفِطرة وخط الواقع ، الحق الذي ينْبغي أن تعتقِد به جاء بِهِ النقْل الصحيح ، وأيَّدَهُ العقْل الصريح ، واطْمَأنَّتْ إليه الفِطرة السليمة ، وأكَّدَهُ الواقع المَوضوعي ؛ الحق هو الذي ينْبغي أنْ تعْتَقِده وتؤمن به وأن تُدافِع عنه ، وأن تُفْنِيَ شبابك من أجْلِهِ وأنْ تسْتَهْلِك عمرك الثمين في سبيلِهِ ؛ هو الذي جاء بِهِ النقل الصحيح ، وأَقَرَّهُ العقْل الصريح ، واطْمَأنَّت إليه الفِطرة السليمة ، وأكَّدَه الواقع الموضوعي . والحق هو الله ، والله من أسْمائِه الحق ، الله جل جلاله خلق الكوْن ، فالكون خَلْقُهُ ، وأنزل القرآن ، والقرآن كلامُهُ ، وجبل النفوس جِبِلَّةً خاصَّة ، فالفِطرة ما جبلنا عليه ، والعقل مِقْياسٌ أوْدعَهُ في الإنسان ، وخلق الواقع على نِظامٍ دقيق ، فالواقع خَلْقُه ، والقرآن كلامه ، والعقل أداةٌ أودعه فينا ، والفِطرة جِبِلَّة جُبِلْنا عليها ، فالحق ـ ولا بأس أن أكرر ـ هو الذي يأْتي به النقل الصحيح مع العقل الصريح مع الفِطرة السليمة مع الواقع المؤْضوعي .

سُمِّيَ الكلام بياناً لأنه يكْشِف عن المعنى المقْصود ؛ مثلاً طِفْلٌ صغير دخل في جِسْمِهِ من قِماطِهِ دبوس فبكى بُكاءً مُراً ، فحار أهْلُهُ في سبب البكاء ساعاتٍ طويلة ، أطْعموه فَلَم يقْبل ، وسَقَوْهُ فلم يقبل ، وحملوه فلم يسكت ؛ لو قال : إنَّ في جِسْمي دبوساً انْزعوه مني لانتهى الأمر ، عِوَض أربع ساعاتٍ من البكاء ، لكن الطِّفل الصغير لا يُبين ولا يسْتطيع أنْ يُعَبِّر عن حاجاتِهِ إلا بِالبُكاء ، والبُكاء لغةٌ ضبابِيَّة عامّة ؛ فهو يبْكي يا ترى أجائِع هو أم عطْشان أم مُتَألِّم أم أصابه مَغْص هضمي ؟ لا ندْري ؛ فالبيان من أخص خصائص الإنسان .

وقال بعضهم : التِّبيان هو الكشْف والإيضاح والتبْيين والتثبّت ، وقد وردت مادة البيان والإبانة في مواطن من القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

الإنسان أحْياناً يتوَهَّم جهْلاً أو تجاهُلاً أو تقْصيراً في البحْث العِلمي أو غباءً ؛ يتوَهَّم أنّ الدين لا يقوم على أيّ أساس ، بل إنَّ كلّ شيءٍ سِوى الدين لا يقوم على أساس ؛ لَسْتم على شيء ولسْتم على حقيقة ولا على بيِّنة ، ولسْتم على دليل ولا على برهان إلا بالدين ، من أخصِّ خصائص الإنسان أنَّهُ يمْلك الحجة البالِغة ، والدليل القاطِع ، ويتحرَّك وَفْقَ مبادىء ، ويتَّجِهُ نحوَ أهداف ثابتة ، ولا يُمكن أنْ يُفاجأ المسلم في وقْتٍ من الأوقات بأنه اعْتَقَد خطأً ما دامت عقيدتُهُ مُسْتَمَدَّةً من كِتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ .

يقولون أحْياناً : إنَّ فلاناً إيمانُهُ في قلْبِهِ ولا يسْتطيع أنْ يجْهر بِهِ ؛ ما قيمة هذا الإيمان إذا بَقِيَ على شاكِلَةِ أُناسٍ مُتَفَلِّتين ؟ وقال : أنا إيماني في قلبي ! هذا كلام غير مقْبول ، إنّ الإيمان إذا اسْتَقَرّ في القلب حقيقةً لابد أنْ يُعبّر الإنسان عن وُجودِهِ بِكلام ينْطِقُهُ ، أو بِسُلوكٍ يسْلُكُهُ ، أو بِدَعوةٍ ينْشُرها ، أو بِعَملٍ يُمارِسُهُ ، أو بِصداقَةٍ يُنْشئها ، أو بِخير يفْعَلُهُ ، وعلامة الإيمان التحرّك ، والإيمان حركة ولا يوجد مؤمن سكوني ، والمؤمن لا يكون سلبياً ، وليس هناك مؤمن لا يتمنى

هداية الخلْق ، ولا يبْحث عن طريقةٍ يُعَرِّف الناس إلى رَبِّهم ، لذلك ما إنْ تستَقِرّ حقيقة الإيمان في قلْب المؤمن حتى يُعَبِّر عن إيمانِهِ بِحَرَكة وبِدَعْوةٍ وكلام ونُصْح وأمْرٍ ونهْيٍ وإعْطاء وبِمَنْعٍ وبِصِلة وبِقَطيعَةٍ وولاءٍ وبراءٍ ، فلا بد من حركة قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

لذلك أنْ تَكْتُم علْماً ولا تُبيِّنُهُ ، يعني أنك وقَعْت في كبيرةٍ من الكبائر ؛ فكِتْمان العِلْم أمر خطير ، وربنا عز وجل وصَفَ دُعاتِه الصادقين بِصِفَةٍ واحدة ، وهذه الصِّفة تُغْني عن آلاف الصِّفات ؛ فالداعِيَة الصادِق لا يخْشى إلا الله ، فَلَو خَشِيَ أحداً غير الله لَتكَلَّم بالباطِل إرْضاءً لِمن يخافُهُ ، ولَسَكَت عن الحق خوْفاً ممن يخافُهُ ، فإذا تكلَّم بالباطِل وسكَتَ عن الحق ماذا بقِيَ من دعْوَتِهِ إلى الله تعالى ؟! قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

أذكر مرّةً أني قرَأتُ حدثاً واحداً لكِنَّهُ مُعبِّر ؛ وذو دلالة بالغة ، والي البصْرة جاءَهُ كِتابٌ من الخليفة يزيد يَأْمُرُه بشيءٍ لا يُرْضي الله عز وجل ، وكان عنده الإمام الحسن البصْري من الأئمّة الأعلام ومن التابِعين ؛ ووقع هذا الوالي في حَيْرة ، أَيُنَفِّذ أمْر يزيد ويُغْضِب الله عز وجل ؟ أم يرفُض أمْر يزيد فَيرضي الله ويُغْضِب يزيد ؟ ولعَلَّهُ يخْلَعُهُ من

عمَلَهَ ، فاسْتشار الإمامَ الحسَنَ البَصْري ، فقال هذا الإمام كلِمَةً تُكْتَبُ بماء الذهب ، قال : « **إنَّ الله يمْنَعُك من يزيد ، ولكِنّ يزيد لا يمْنعك من الله** » ، وفي الحديث الصحيح :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** » [رواه الترمذي] .

لكن بِالمقابل لو سُئلْت عن شيءٍ وأنت لا تعْلَمُهُ قل : لا أدْري بِملء فمِك ولا تسْتحِ ، لأنّ نِصْف العِلم لا أدْري ، أحمد بن سنان قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال : كنا عند مالك فجاءه رجل فقال : جئتك من مسيرة ستة أشهر حملتني أهل بلادي مسألة قال : سل فسأله عنها فقال : لا أحسن قال : فأي شيء أقول لأهل بلادي قال : تقول : قال مالك لا أحسن .

كُنْ مَوْضوعِياً فهذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يُسْأل عن أمر أو مسألة لم ينزل عليه الوحي فيه لا يُجيب وهو سيِّد العلماء وسيِّد الخلق ، من سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ .

لذلك قال العلماء : « **أمانة الأنبياء أمانة التبْليغ ، أما أمانة العلماء فأمانة التبْيين ، فالأنبياء أمانتُهم تبْليغ ، والعلماء أمانتُهم تبْيين** » .

وفي الآية الكريمة قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

بيِّنات كما قال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ

قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ » [رواه أحمد] .

فَلِلمؤمن ميزة قد يغْفَل عنها ، أنت على الحق ، ومعك الدليل ، والحجَّةُ القاطِعة ، وأنت تستنير بنورٍ من الله ، وتقْرأ الوحي الذي أُنْزِل على النبي عليه الصلاة والسلام والوَحْي نِداء السماء إلى الأرض ، فأنت حينما تجْلِس إلى آلَةٍ بالِغة التعْقيد وتُحاوِل أنْ تفهمها من خلال تحْريك الأزرار قد تُعْطِبُها ، وقد لا تفْهم حقيقة عمَلِها ولا طريقة اسْتِعْمالِها ولا طريقة إيقافِها ولا طريقة صِيانَتِها ، وقد تسْأل فَتَأتيك أجْوِبَةٌ مُتناقِضة ، وقد تأتيك التعْليمات فلا تفْهَمُها ، وقد تسْأل من عنده مثل هذه الآلة ويَغْفَل عن بعض حركاتِها ، أما إذا جلسْت إلى مُخترِعِها وصانِعِها وسألْتَهُ فجوابه صحيح ، حقٌّ مئةً بالمِئة .

لذلك هناك علوم تجْريبية ، وعلوم دِينِيَّة أصْلُها الوحيُ ، فالوَحْيُ قطْعِيٌّ في صِحَّتِه لأنه من عند الله عز وجل ولا يُنَبِّئك مثل خبير ، أحد الأطِباء وهو من العلماء اسْتَنْبَط من حديث رسول الله ﷺ أنَّ للإنْسان أنْ يشْرب ما شاء مع الطعام من قوْل النبي عليه الصلاة والسلام :

« مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » . [رواه ابن ماجه] .

وبَقِيَ هذا الطبيب وهو أسْتاذٌ جامِعِيّ يُؤكِّد لِطُلابِهِ خِلال عِشْرين عاماً أنَّهُ لا مانِع من شُرْب الماء مع الطعام بِالقدْر الذي تريد ، على حين أن بقِيَّة الأطِباء يُرَدِّدون نظرِيَّة درسوها في الجامِعات الغَرْبِيَّة ، من أنّ شرب الماء مع الطعام يُمَدِّد العُصارات الهاضِمة ويُضْعِفُ الهضْم ، فلا بد من أنْ تنْتظر ساعاتٍ ثلاث حتى تشْرب من الماء ما تشاء ، وهذا الأسْتاذ الذي اسْتَنبط من حديث رسول الله هذه الحقيقة يُدافع عن رأْيِهِ بِشَكْلٍ مُخْتَصَر .

فالنبي ﷺ لا ينْطِق عن الهَوى ، إن هو إلا وحْيٌ يوحى ، والنبي ﷺ ينْطِق عن الوَحي والله الخبير . إلى أنْ ثبَتَ علْمِياً قبل سنَةٍ ونيِّف وقد نُشِر هذا في مجلّة أبْحاث عِلْمِيَّة مرموقة جداً ، أنَّ شُرب الماء مع الطعام يُعين على الهضْم ، فمهما أكْثرت من شُرب الماء فلا يضرك ذلك لأنَّهُ يحُثّ العُصارات الهاضِمة على الإفْراز ، والطعام إذا تخَلَّلَهُ الماء أمْكن للعُصارات الهاضِمة أنْ تتَغَلْغَلَ في كلِّ أنْحائِهِ وأنْ تُعين على هَضْمِهِ ، فالأصْل هو الوَحي فَكُل شيءٍ يُخالِف الوَحي فيهِ خطأٌ ؛ بَدَتْ لك حقيقَتُهُ أو لم تبْدُ ؛ فالمؤمن يُصَدِّق الله عز وجل .

قال تعالى :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة : ١١٨] .

المُشْكِلة حلقة مُفْرغة ، فالجاهِل ينتَظِر أنْ يَهْدِيَهُ الله وأنْ تأْتِيَهُ مُعْجزة ، وأنْ يرى الله جهْرةً ، وأنْ يرى كِتاباً أُنْزِل من السماء ، وأنْ يرْجِع ميِّتٌ من قبْرِهِ فَيُحَدِّثه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ

تَأْتِيناَ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

الحقيقة بيّنها وانتهى الأمر إلى ما هو في وضوح الشمس ، والكَون كلُّه ينْطِق بِعَظَمة الله ، وبِوَحْدانيَّة الله ، وبِكمال الله ، والقرآن كلُّه ينطق أنَّه كلام الله من خلال إعْجازِهِ ، والقرآن ينْطِق أنّ هذا الذي جاءَهُ الكِتابُ هو رسول من عند الله ، فالله بيَّنَ وانتهى الأمر إلى غاية الوضوح ، قال تعالى :

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل : ١٢ـ١٣] .

فالله هدى الناس ، وبقِيَ أنْ تسْتَجيبوا أنْتم .

قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

بَقِيَ لك أنْ تسْتجيب ؛ هداك بِالكون ، وأعْطاك العَقْل ، وجَبَلَك على فِطْرةٍ سليمة ، وجعل الحوادث كلَّها تؤيِّد كلامه في القرآن ، بل إنّ حوادث الكَوْن تأويلٌ للقرآن الكريم ، النقْطة الدقيقة هنا أنَّك إذا أرَدْت الهدى وجَدْتَهُ في كلِّ شيء ، وإذا أعْرَضْت عنه لم تجِدْهُ في أوْضَح الأشياء ، فَهُناك من عاش مع النبي ﷺ ؛ ألَمْ يرَ النبي ﷺ وكمالَهُ ومنْطِقَهُ وأخْلاقَه ومُعْجزاته ؟ ألَمْ يقْرأْ هذا الكِتاب الذي أُنزل عليه ؟ ومع ذلك لم يؤمن ، وقد يأتي إنْسان في آخر الزمان ، ولم ير النبي ﷺ ولم يجْلِس إليه ولم يسْتَمِع إلى أقْوالِهِ ولم ير مُعْجزاتِه والنورانِيات التي كانت تُشعُّ منه ﷺ ، ومع ذلك يؤمن به ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٧] .

والحقيقة أنَّ الإنْسان كلَّما ارْتقى يخافُ بِعَقْلِهِ ، وكلَّما هبط مُسْتواهُ يَخافُ بِعَيْنِهِ ، فالحيوان يخافُ بِعَيْنِهِ ، والإنسان الذي أنْكر إنْسانِيَّتَهُ وعطّل عقله ، لا يخافُ إلا بِعَيْنِهِ ، والكافر متى يَفْزع ؟ حينما يأتيه ملك الموت ، ومتى يخاف ؟ حينما يقترب أجلُهُ ، ومتى يضْطرب ؟ حينما تأْتيه المُصيبة ، أما وهو في البَحْبوحَة والرخاء فلا يُبالي إطْلاقاً بهذا الحق ؛ لذلك فالذي يخاف بِعَيْنِه أقلّ مرْتَبَةً من الإنسان الذي يخاف بعقله ، أما الذي يخاف بِعَقْلِهِ فهو الإنسان العاقِل .

وأما الأمر الثاني فقد قال تعالى :

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

هناك معنى دقيق جداً ، أحْياناً يتناوَل الإنسان مادّة أوَّلِيّة لِيُصَنِّعَها ، فهو لا ينْتَفِعُ بها إلا إذا صَنَّعها ، فالخشب مثلاً : لو اشْترى إنْسان شجرة ووضَعَها في البيت ماذا يفْعل بها ؟ إنَّ هذه الشجرة تُشْرح إلى ألواح ، وتصنّع قِطعة أثاث يستخدمها وتُطْلى بِطِلاء جميل ، فهناك مواد أوّلِيّة كثيرة جداً ليْسَت لها قيمة بِذاتِها إلا إذا صُنِّعَت ، وبعض النبات لا يُؤكل إلا إذا طُبِخ ، فهذه الآية دقيقة جداً ، يقول الله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟

أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : ٨٩] .

يجب على المؤمن أنْ يتناوَل هذه الآيات وأمثالها بالدراسة والتفكر فيها ، كي يعقلها ويستفيد منها ، ولتكون مُتّكأً للوُصول إلى الله عز وجل .

إذاً عليك مُهِمَّة ، فالشمس مَوْجودة وكلُّ إنسان يرى الشمس ساطِعة ، لكنَّك مُحْتاجٌ إلى أنْ تُفَكِّر فيها كآية من آيات الله ، بل إنَّ بعض الحيوانات حينما تميل الشمس للغُروب تتَّجه إلى إصْطَبْلِها ؛ البقر والدواب والأنعام حينما تميل الشمس إلى الغروب تتَّجه إلى إصْطَبْلِها ، معنى ذلك أنَّ الحيوان يُدْرِك أن الشمس مالَتْ للغروب أما الإنسان فعليه أنْ يُفَكِّر من خلقها ومن كوَّنَها ومن رفعها ومَن جعلها مُلْتَهِبة ؟ . . ويدرك أنها مصْدر حرارة للأرض وإنارة : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ .

ومعلوم يقيناً أنّ هناك في الكَون آياتٍ لا تُعَدّ ولا تُحْصى ، وأَيْنما اِلْتَفَت المرء وسار واتَّجَه وجلس ونظر رأى الآيات تُحيط به من كلِّ جانِب ، لِذلك فالعِبْرَة أنْ تعكف على هذه الآيات وتُفَكِّر فيها ، ومن هنا قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

هناك آيةٌ تحمل العِلّة ، والدلالة واضحة جداً في سورة النِّساء ، يقول الله تعالى :

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء : ٢٦] .

البيان الإلهي من ثمرات إرادة الله عز وجل ؛ أحْياناً الإنسان يضْرب ابْنه ولا يريد أنْ يضْرِبه ، وأحْياناً يتناوَلُ الدواء وكان يتمنى ألا يتناوَلَهُ ، فلَيْسَ كلُّ فِعْلٍ مُتوافِقٌ مع الإرادة ، فالإنسان يفْعل أشْياء مضْطَرّاً لكنَّ هذه الآية دلالتها دقيقة جداً ؛ فالله يريد لِيُبَيِّن لنا ، ولِيُعَرِّفَنا ، وينْقُلَنا من الجهْل إلى العِلم ، ويُخْرِجنا من الظلمات إلى النور ، ومن الضَّياع إلى الوِجدان ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى السعادة : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

وقال تعالى :

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] .

يقول لَهُ : لِمَ لا تُصَلي يا أخي ؟ فتجد الجواب : إلى أنْ يَهْدِيَني الله ، فهذا الكلام مُضْحِك ، وغير عِلمي ، فالله عز وجل خلقَكَ لِيَهْدِيَكَ .

الذي أراه أنّ الله سبحانه وتعالى رحْمَةً بِعِبادِه يُنَوِّعُ لهم أساليب الهدى ، وأوْدَعَ فيهم العُقول لِيَهْتَدوا ، وأوْدَعَ فيهم الفِطَر السليمة لِتكون مِقْياساً لهم لأعْمالِهم ، وسَخَّر لهم السموات والأرض ؛ لِيَكون هذا الكون مظْهراً لأسماء الله الحُسْنى وصِفاتِه الفضلى ، وجعل أفْعاله مُتَطابِقَةً مع أقْوالِهِ كي يحْصل الانْسِجام في الكون ، فالله وعد المُرابي بِحرب قال تعالى :

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٧٩] .

تجد دائماً وأبداً الذي يجْمع المال الحرام يُدَمَّر مالُهُ ؛ توافُقُ أفْعال الله مع كلامِهِ شيءٌ مُهِمٌّ جداً ، قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

حياة المؤمن طيبة ، وهو شيء جميل ينوه الله تعالى إليه في القرآن وتؤكده الدِّراسة المَيْدانِيَة ، فإذا اجْتَمَعْتَ مع الشباب المؤمن تجِدُهُم حقاً يعيشون حياةً طيِّبَة ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

لو تتبَّعْتَ أحْوال أهْل الدنيا لَوَجَدْتهم يعيشون معيشَةً ضنْكاً ، تطابق أفْعال الله مع كلامِهِ نَوْع من البيان ، فالكلام نظري والتطبيق عملي .

ويقول الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة : ١٥ـ١٦] .

كلِمَة سلام ؛ فالسلامُ مُريحٌ جداً ، والسلام الذي أرادَهُ الله عز وجل هو السلام الذي من أسْمائِهِ تعالى ، لأنّ الله جلّ جلاله أصْل كلِّ سلامٍ في الأرض ، والإنْسان قد يسْلم مع نفْسِهِ فهو مُطْمَئِنٌّ إليها ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر : ٢٧ـ٣٠] .

والإنسان قد يكون في سلامٍ مع من حَوْله ، وعلاقاته واضِحة ، وصادِقٌ ، وأمين ، وليس بينه وبين من حوْله مشْكِلة ، ومُرْتاح البال ، وهو في سلامٍ مع كل من يلوذ به ، والإنسان المُطيع في سلامٍ مع ربِّه .

من أسْماء الله المُبين يُبَيِّن بأَقْوالِه وأفْعالِهِ وأنوارِه وتجَلِّيه وخلْقِهِ والفِطَر والعُقول ، والله عز وجل يُعَلِّمنا دائِماً ، ومن هنا قال بعض العلماء تفْسيراً لِهذه الآية ولهم فيها وِجْهَة نظر ، قال تعالى :

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

يَفْهَمها بعض المُسْلِمين على الشكل التالي : إنْ اتَّقَيْتم الله يُعَلِّمْكم ، فَلَو كان المعْنى هكذا ، لَجاء النصّ على الشكل التالي : واتَّقوا الله يُعَلِّمْكم الله ، جواب الطَّلب ، أما الآية واتَّقوا الله ويُعَلِّمُكم الله ؛ يعْني : لِم لا تتَّقون الله ؟ والله يُعَلِّمُكم دائِماً ، يُعَلِّمكم بِالوَحْيِ والعقول والفِطَر وخلْقِه وأفْعالِه وأنْوارِه وبآلاف الطرائق .

وفي سورة المائدة يقول الله عز وجل :

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٥] .

والحقيقة أنَّ التناقض بين ما يعْتَقِدُهُ الإنسان وبين سُلوكِهِ لا يُحْتَمَل ، تجد أُناساً يسْتَمِعون إلى خُطْبة في مسْجِد ، أو إلى كلِمة في عقْد قِران ، أو إلى موعِظة بمناسبة وفاة ويتأثَّرون بها آنياً ، فإذا انْطلقوا إلى بُيوتِهم كأن لم يسمعوا شيئاً ، وهذا شيءٌ مُريع ، أنْ تسْمع للحق وأنْ تفْعل عكْسَهُ ، وأن تأتي إلى بيْت الله تستمع إلى الآيات

والأحاديث والأحداث وتهمل بيتك ويكون على خِلاف ما أمر الله تعالى ، وأنْ تطْلب العلم ولا تعْمل به ، وأنْ تتزَيا بِزيِّ المسْلمين ، ولا تفْعل ما يفْعل المسْلمون وأن تدَّعي أنَّك مؤمن ولم تُدْرك حقيقة الإيمان ؛ فهذا هو الذي ورد في هذه الآية قال تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ، أي ينصرفون عما فيها من بيان وإيضاح لحقائق الإيمان .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

شيءٌ عظيم ومفيد جداً أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل كِتابه على النبيِّ ﷺ وفيه كلُّ الحق وفيه البيِّنات والنور والمنْهج ؛ ثم مِن العجيب جداً ألا يأخذ منا كلام الله تعالى مأْخَذَ التطبيق .

وفي سورة الأعراف قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

من هو المجنون ؟ هو الذي عصى الله تعالى ، فالمجْنون الذي نراه في الطريق ليس مجْنوناً ، هذا مُبْتلى بِعُصاب ذِهني أو بِمَسٍ شيْطاني ، لكنَّ المجنون حقيقةً هو الذي عصى الله تعالى ، لذلك قال تعالى :

﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم : ٢] .

وقال تعالى :

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۖ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴾ [هود : ٢٨] .

المؤمن على شيءٍ من الهدى ، والمؤمن مُنْغَمِسٌ في رحْمة الله

تعالى ، لكنَّ هذه الرحمة عُمِّيَت عن الخلق ، والخلْق مادِّيون يُقَيِّمون كلَّ شيءٍ بِمِقْياسٍ مادي ، فأنت مهما كنت على خلقٍ عظيمٍ ، وعلم غزير ، أو على معْرِفَةٍ بالله ، أو على إخلاصٍ شديد ، فلا تُقَيَّم إلا من خِلال دخْلِك عند هؤلاء المادِّيين .

وفي سورة يوسف عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام :

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف : ١] .

المبين يعني : الواضِح ؛ ولذلك ليس من المُناسِب أنْ تفْهم كلام الله فهماً لم يرده الله ، علماً بأن القرآن الكريم نزل بِلُغَة العرب وبِلِسَانٍ عرَبِيٍّ مبين ؛ هناك أُناسٌ يتعامون عن المعنى الجَلِيِّ الواضِح ويصْرِفون عنه النظر ، ويبْحثون عن معانٍ لا تُدْرَك إلا بِشِقِّ الأَنْفُس أو بالتَّكَلُّف الذي لا يُحْتَمَل ، ومن أخْطاء المُفَسِّرين أنْ تُؤول الآية لِغَير ما تُفْصِح عنه ، فهذه التأْويلات التي ماأنزل الله بِها من سُلْطان هي التي شَتَّتَت المسْلِمين وفرَّقَتْهم ، مع أنَّ هذا القرآن نزل بِلِسانٍ عرَبِيٍّ مُبين ؛ بعض القِراءات المُعاصِرة فَسَّرت قوْله تعالى :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] .

البنون : البِناء هل في العالم العربي من يفْهم كلمة البنون أنها تعني البِناء ؛ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، وهذا القرآن نزل بِلُغَة العرَب ، فَيَنْبَغي أنْ نفْهَمَهُ وَفْق لُغَة العَرب .

وفي سورة النحل قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

هناك اخْتِلاف أساسُهُ نقْص المَعْلومات ، وهذا اخْتِلافٌ طبيعي ، لكنَّ الوحيَ يحْسُمُ هذا الأمر ، قال تعالى :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وهناك اخْتِلاف أساسُه البَغْي والحسد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[آل عمران : ١٩] .

الاخْتِلاف الأول طبيعي ؛ وهو الاختلاف القائم على نقص المعلومات ، أما الاخْتِلاف الثاني فهو قَذِر أساسُهُ الحسد والبغي والعُدْوان ، أما الإخْتِلاف الثالث فاخْتِلافٌ محْمود ، وهو التنافُس في حقْل الدين وفي دائرة الحق ، وفي سورة النور قال تعالى :

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٨] .

الحق واضِح لكنّ الناس في الدنيا نِيام وإذا ماتوا انْتَبَهوا ، وعند الموت يُكْشَف الغِطاء ، قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

وفي سورة النمل قال تعالى :

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل : ٧٩] .

أيها المؤمن لا تَخَفْ ، فإنّ النبي ﷺ خاطَب عدِي بن حاتِم فقال له : « يا عدي! هل رأيت الحيرة ؟ فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، ولئن

طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرة بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ : « يخرج ملء كفيه » . [رواه البخاري] .

فَتَوَكَّل على الله إنك على الحق المُبين ، وعلامة المؤمن الصادِق لو أنَّ الناسَ جميعاً تنكَّروا للدين ولم يعْبَؤوا به ولم يلْتَزِموا بِتعالِيمِهِ ، يَكْفيهِ أَنَّهُ على الحق المُبين ، والإنسان العاقِل لا يأخذ بِالكَثرة ، بل هدفه الحق ولو قلَّ ناصروه ، قال تعالى :

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[النجم : ٢٨] .

وقال تعالى في سورة الحديد : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الحديد : ١٧] .

فالآيات تحْتاج إلى تفكُّر وإعمال عَقْل ، والآيات إنْ صَحّ التعبير مواد أوَّلِيَّة تحْتاج إلى تصْنيع ، ولا بد أنْ تُصَنِّعَها بِعَقْلِك وبِفِكْرِك ،

ولا بد أنْ تتفكَّر فيها أو أنْ تتذكَّرها ، قال تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ـ١٩] .

أحْداث العالم كلِّه تتَّجهُ لِتأْكيد ما في القرْآن .

لا يغيب عن بالِكم أنّ العالم فيما سبَقَ شرْقاً وغرْباً ؛ كان شرْقاً يؤمن بِالمجْموع والقُيود ، وغرْباً يؤمن بِالفرْد والحُرِّيَّة ، والآن الشرق والغرْب عادا إلى الإسْلام قَهْراً لا عِبادةً ، واضْطُروا إلى أنْ يعودوا إلى أصول الدين ؛ فمثلاً هناك بِلادٍ طويلَةٍ عريضة عاتِيَةٍ بعيدة حَرَّمت الخمر ، والآن في بعض الجامِعات بِأَمْريكا تُحَرِّم الاخْتِلاط بين الطلاب والطالِبات ، فَكُلَّما تقَدَّم العِلم ونضج في البشَرِيَّة اتَّجهُ قهْراً إلى تعاليم الدِّين لا إيماناً ولا تَعَبُّداً ، لِذلك الشرْق والغَرْب عاد إلى وَسَطِيّة الإسلام ، والشرق عاد مقْهوراً لا مُخَيَّراً ، والغرب سيعود كذلك ، وسوْف تَرَوْن بعد حين أنّ هذا الدين الإسلام العظيمَ هو دين المُسْتَقْبَل قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

قال تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨ـ١٩] .

حتى الآيات الكَوْنِيَة في القرآن الكريم ، كلما تقَدَّم العِلم تكشَّفت للعلماء حقائق الإعْجاز القُرآني العِلمي .

من أدْعِيَة هذا الاسم الجليل : اللهم أنت المُبين للحق ، والهادي إليه ، والمُوَفِّق لاتِّباعِه ، فاجْعَل بين أيْدِينا نوراً من قُرْآنِك ، وهِدايَةً

من بيانِك ، فإنَّك أنت الحق المُبين .

وليس هناك أسْعَد من إنسانٍ عرف الحق ، ونِعْمَةُ الهُدى أعْظم نِعْمة ، بل إنّ بعض العلماء قالوا في تفْسير قوْله تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

قالوا : تمامُ النِّعمة الهُدى ، فاللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

* * *